بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج حياة الشباب في صدر الإسلام

الحلقة الثامنة والعشرون بعد المائة

ابن تيمية (رحمه الله)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير الأولين والآخرين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :-

أيها المستمعون الكرام، معشر الشباب ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، نقف اليوم مع حياة علم من أعلام الإسلام ، ممن برع ي حداثة سنه ، ففاق أقرانه ، وأعجب أهل زمانه . إنه شيخ الإسلام تقي الدين أبوا العباس أحمد بن تيمية رحمه الله .

هناك جانب من حياته (رحمه الله) قد يخفى على الناس وهو جانب الشجاعة والإقدام ، فقد كان (رحمه الله) من أشجع الناس وأقواهم قلباً، كان يجاهد في سبيل الله بقلبه ولسانه ويده ولا يخاف في الله لومة لائم، وأخبر غير واحد أن الشيخ رضي الله عنه كان إذا حضر مع عسكر المسلمين في جهاد يجتهد في تثبيتهم ، فإن رأى من بعضهم هلعاً أو رقة أو جبانة شجعه وثبته وبشره ووعده بالنصر والظفر والغنيمة، وبين له فضل الجهاد والمجاهدين، وإنزال الله عليهم السكينة .

وكان إذا ركب الخيل يتحنك ويجول في العدو كأعظم الشجعان ويقوم كأثبت الفرسان ويكبر تكبيرا انكى في العدو من كثير من الفتك بهم، ويخوض فيهم خوض رجل لا يخاف الموت ، وحدثوا انهم رأوا منه في فتح عكة أموراً من الشجاعة يعجز الواصف عن وصفها، قالوا ولقد كان السبب في تملك المسلمين إياها بفعله ومشورته وحسن نظره.

إن الأمة الإسلامية في هذا الزمان خاصة قد تسلط عليها أعداؤها نم كل حدب وصوب ، فكم قتلوا من رجالها ، وكم سلبوا من أموالها ، ومن استولوا على اراضيها وانتهكوا مقدساتها ، ولعل ما يجري في فلسطين الحبيبة من تدنيس اليهود لها وانتهاكهم حرمة المسجد الأقصى لشاهد على مرأى ومسمع من دول العالم أجمع ، لشاهد حي على تداعي

الأعداء على الأمة الإسلامية ، فالأمة بحاجة إلى الرجال الذين يعيدون لها قوتها وعزتها ، ومكانتها بين الأمم ، ويرهبون أعداء الأمة كما كانوا يرهبونها من قبل .

ولشيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) مواقف بطولية في حماية أبناء الأمة والوقوف في وجوه أعدائها ، فإنه لما ظهر السلطان غازان على دمشق جاءه ملك الكرج وبذل له أموالاً كثيرة جزيلة على أن يمكنه من الفتك بالمسلمين من أهل دمشق، ووصل الخبر إلى الشيخ فقام من فوره وشجع المسلمين ورغبهم في الشهادة ووعدهم على قيامهم بالنصر والظفر والأمن وزوال الخوف.

فانتدب منهم رجال من وجوههم وكبرائهم وذوي الأحلام منهم فخرجوا معه إلى السلطان غازان، فلما رآهم السلطان قال: من هؤلاء فقيل هم رؤساء دمشق، فأذن لهم فحضروا بين يديه، فتقدم الشيخ (رحمه الله) أولًا فلما أن رآه أوقع الله له في قلبه هيبة عظيمة حتى أدناه وأجلسه، وأخذ الشيخ في الكلام معه أولا في عكس رأيه عن تسليط المخذول ملك الكرج على المسلمين، وأخبره بحرمه دماء المسلمين وذكره ووعظه فأجابه إلى ذلك طائعاً، وحقنت بسببه دماء المسلمين، وحميت ذراريهم، وصين حريمهم .

وعن الشيخ وجيه الدين ابن المنجا (رحمه الله) قال: كنت حاضراً مع الشيخ ابن تيمية حينئذ فجعل يحدث السلطان بقول الله ورسوله (صلى الله عليه وسلم) في العدل وغيره، حتى جثا على ركبتيه وجعل يقرب منه في أثناء حديثه، حتى لقد قرب أن تلاصق ركبته ركبة السلطان، والسلطان مع ذلك مقبل عليه بكليته، مصغ لما يقول، شاخص إليه لا يعرض عنه، وأن السلطان من شدة ما أوقع الله ما في قلبه من المحبة والهيبة، سأل من يخصه من أهل حضرته، من هذا الشيخ؟ وقال ما معناه: إني لم أر مثله، ولا أثبت قلباً منه ولا أوقع من حديثه في قلبي، ولا رأيتني أعظم انقياداً مني لأحد منه. فأخبر بحاله وما هو عليه من العلم والعمل، فقال الشيخ للترجمان: قل لغازان أنت تزعم أنك مسلم، ومعك قاضي وإمام وشيخ ومأذنون على ما بلغنا فغزوتنا، وأبوك وجدك كانا كافرين وما عملا الذي عملت، عاهدا فوفيا وأنت عاهدت فغدرت، وقلت فما وفيت، وجرت. وسأله: إن أحببت أن اعمر لك بلد آبائك حران وتنتقل إليه ويكون برسمك؟ فقال لا والله لا أرغب عن مهاجر إبراهيم صلى الله عليه وسلم استبدل به غيره.

فخرج الشيخ ابن تيمية من بين يديه مكرماً معززاً، قد صنع له الله بما طوى عليه نيته الصالحة من بذله نفسه في طلب حقن دماء المسلمين فبلغه ما أراده، وكان ذلك أيضاً سببا لتخليص غالب أسارى المسلمين من أيديهم وردهم على أهلهم وحفظ حريمهم وهذا من أعظم الشجاعة والثبات وقوة الجأش .

وكان ابن تيمية يقول: لن يخاف الرجل غير الله إلا لمرض في قلبه فان رجلا شكى إلى أحمد بن حنبل خوفه من بعض الولاة فقال لو صححت قلبك لم تخف أحداً .

ولم يسلم شيخ الإسلام في عهده من عداوة الأعداء ووشاية الواشين ، فقد وشي به إلى السلطان الملك الناصر، احضره بين يديه ، فكان من جملة كلامه : إنني اخبرت انك قد أطاعك الناس وأن في نفسك اخذ الملك، فلم يكترث به بل قال له بنفس مطمئنة وقلب ثابت وصوت عال سمعه كثير ممن حضر: أنا أفعل ذلك؟! والله إن ملكك وملك المغول لا يساوي عندي فلسين، فتبسم السلطان لذلك وأجابه في مقابلته بما أوقع الله له في قلبه من الهيبة العظيمة، إنك والله لصادق وإن الذي وشيء بك إليَّ كاذب، واستقر له في قلبه من المحبة الدينية ما لولاه لكان قد فتك به منذ دهر طويل من كثرة ما يلقى إليه في حقه من الأقاويل الزور والبهتان.

ولم يزل المبتدعون أهل الاهواء وآكلو الدنيا بالدين متعاضدين متناصرين في عدواة ابن تيمية، باذلين وسعهم بالسعي في الفتك به، متخرصين عليه بالكذب الصراح، مختلقين عليه، وناسبين إليه ما لم يقله ولم ينقله، ولم يوجد له به خط ولا وجد له في تصنيف ولا فتوى، ولا سمع منه في مجلس .

أتراهم ما علموا أن الله سائلهم عن ذلك ومحاسبهم عليه، أو ما سمعوا قول الله تعالى: { ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد} بلى والله، ولكن غلب عليهم ما هم فيه من إيثار الدنيا على الاخرة، والعمل للعاجلة دون الآجلة، فلهذا حسدوه وابغضوه، لكونه مباينهم ومخالفهم لبغضه ورفضه ما أحبوا وطلبوا، ومحبته ما باينوا ورفضوا، ولعلم الله بنياته ونياتهم أبى أن يظفرهم فيه بما راموا، حتى أنه لم

يحضر معه منهم أحد في عقد مجلس إلا وصنع الله له ونصره عليهم بما يظهره على لسانه من دحض حججهم الواهية، وكشف مكيدتهم الداهية للخاصة والعامة .

فرحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة واسعة ونفعنا بعلمه وعمله .

أيها المستمعون الكرام ، معشر الشباب ، في الختام نسأل المولى جل وعلا أن يلهمنا رشدنا ، وأن يوفقنا لصلاح ديننا ودنيانا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وإلى أن ألقاكم أستودعكم الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.